وهذا التخيل قد يحصل من انعكاس الأشعة واختلاف الظلال باعتبار مواقع الرائين من ارتفاع المواقع وانخفاضها واختلاف أوقات الرؤية على حسب ارتفاع الشمس وموقع الرائين من مواجهتها أو استدبارها وبعض ذلك يحصل عند حدوث الآل والسراب أو عند حدوث ضباب أو نحو ذلك وإلقاء ا الخيال في نفوس الفريقين أعظم من تلك الأسباب .

وهذه الرؤية قد مضت بقرينة قوله (إذ التقيتم) فالتعبير بالمضارع لاستحضار الحالة العجيبة لهاته الإرادة كما تقدم في قوله تعالى (إذ يريكهم ا في منامك قليلا) .

و (إذ التقيتم) ظرف ليريكموهم) وقوله (في أعينكم) تقييد للإرادة بأنها في الأعين لا غير وليس المرئي كذلك في نفس الأمر ويعلم ذلك من تقييد الإراءة بأنها في الأعين لأنه لو لم يكن لمقصد لكان مستغنى عنه مع ما فيه من الدلالة على أن الإراءة بصرية لا حلمية كقوله في الآية الأخرى (ترونهم مثليهم رأي العين) .

والالتقاء افتعال من اللقاء وصيغة الافتعال فيه دالة على المبالغة . واللقاء والالتقاء في الأصل الحضور لدى الغير من صديق أو عدو وفي خير أو شر وقد كثر إطلاقه على الحضور مع الأعداء في الحرب وقد تقدم عند قوله تعالى في هذه السورة (يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا) الآية .

(ويقللكم) يجعلكم قليلا لأن مادة التفعيل تدل على الجعل فإذا لم يكن الجعل متعلقا بذات المفعول تعين أنه متعلق بالإخبار عنه كما ورد في الحديث في يوم الجمعة : (وفيه ساعة) قال الراوي : يقللها ؛ أو متعلق بالإراءة كما هنا وذلك هو الذي اقتضى زيادة قوله (في أعينهم) ليعلم أن التقليل ليس بالنقص من عدد المسلمين في نفس الأمر .

وقوله (ليقضي ا أمرا كان مفعولا) هو نظير قوله (ولكن ليقضي ا أمرا كان مفعولا) المتقدم أعيد هنا لأنه علة إراءة كلا الفريقين الفريق الآخر قليلا وأما السابق فهو علة لتلاقي الفريقين في مكان واحد في وقت واحد .

ثم إن المشركين لما برزوا لقتال المسلمين ظهر لهم كثرة المسلمين فبهتوا وكان ذلك بعد المناجزة فكان ملقيا الرعب في قلوبهم وذلك ما حكاه في سورة آل عمران قوله (ترونهم مثليهم رأي العين) .

وخولف الأسلوب في حكاية إراءة المشركين وحكاية إراءة المسلمين لأن المشركين كانوا عددا كثيرا فناسب أن يحكى تقليلهم بإراءتهم قليلا المؤذنة بأنهم ليسوا بالقليل . وأما المسلمون فكانوا عددا قليلا بالنسبة لعدوهم فكان المناسب لتقليلهم : أن يعبر عنه بأنه "

تقليل " المؤذن بأنه زيادة في قلتهم .

وجملة (وإلى ا ترجع الأمور) تذييل معطوف على ما قبله عطفا اعتراضيا وهو اعتراض في آخر الكلام . وهذا العطف يسمى : عطفا اعتراضيا لأنه عطف صوري ليست فيه مشاركة في الحكم وتسمى الواو اعتراضية .

والتعريف في قوله " الأمور " للاستغراق أي جميع الأشياء .

والرجوع هنا مستعمل في الأول وانتهاء الشيء والمراد رجوع أسبابها أي إيجادها فإن الأسباب قد تلوح جارية بتصرف العباد وتأثير الحوادث ولكن الأسباب العالية وهي الأسباب التي تتصاعد إليها الأسباب المعتادة لا يتصرف فيها إلا ا وهو مؤثرها وموجدها . على أن جميع الأسباب عاليها وقريبها متأثر بما أودع ا فيها من القوى والنواميس والطبائع فرجوع الجميع إليه ولكنه رجوع متفاوت : على حسب جريه على النظام المعتاد وعدم جريه فإيجاد الأشياء قد يلوح حصوله بفعل بعض الحوادث والعباد وهو عند التأمل الحق راجع إلى إيجاد ا تعالى خالق كل صانع . والذوات وأحوالها : كلها من الأمور ومآلها كله رجوع فهذا ليس رجوع ذوات ولكنه رجوع تصرف كالذي في قوله (إنا وإنا إليه راجعون) .

والمعنى : ولا عجب في ما كونه ا من رؤية الجيشين على خلاف حالهما في نفس الأمر فإن الإرادة المعتادة ترجع إلى ما وضعه ا من الأسباب المعتادة والإرادة غير المعتادة راجعة إلى أسباب يضعها ا عند إرادته .

وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب (ترجع) بضم التاء وفتح الجيم أي يرجعها راجع إلى ا والذي يرجعها هو ا فهو يرجعها إليه . وقرأ البقية ترجع بفتح التاء وكسر الجيم أي : ترجع بنفسها إلى ا ورجوعها هو برجوع أسبابها .

A E